علـــم الاجتماع التربوي ميدان من ميادين علم الاجتماع يهتم بدراسة الظاهرة الـــتربوية والتنشـــئة الاجتماعية وما يرتبط بها من نظم وتنظيمات اجتماعية ودراسة المشكلات التربوية دراسة علمية وصفية وتحليلية.. بغرض فهم هذه الظاهرة الاجتماعية التربوية ومشكلاتها، في نشأتها وتطورها وأدائها لوظيفتها.

في العلـــوم الطبيعية هدف العلم فهم الظاهرة الطبيعة ثم التنبؤ بمستقبل الظاهرة والتحكم بهذه الظاهرة، ومثالنا هنا عن نهر الفرات في سورية والظاهرة فيضان النهر في فصـــل الربيع. فإن فهم هذه الظاهرة هو معرفة أن هذه الظاهرة لها أسباب موضوعية علمـــية غير غيبية، تتمثل في أن الثلوج تذوب على جبال طوروس وما حولها مع فصل الربـــيع، مما يؤدي إلى زيادة منسوب المياه وفيضان النهر. والتنبؤ يكون بمعرفة أن هذه الظاهـــرة تحـــدث في الربيع وأن الأمر يقتضي اتخاذ الاحتياطات اللازمة لتجنب مخاطر الفيضـــانات على البشر والأراضي الزراعية. أما التحكم فيكون ببناء سد الفرات على نهـــر الفـــرات بهـــدف الاستفادة من مياهه واتقاء شرور الفياضانات وآثارها لتصبح الظاهرة بعد التحكم بها مصدر خير عميم لكل الناس.

أولاً- الأهداف العامة للعلم:

لعـــلم الاجـــتماع التربوي أهداف عامة هي من أهداف كل علم وهي الفهم والتحكم والتنبؤ.

١ – الفهم :

هـــو العملية التي يستند إليها علم الاجتماع التربوي في الوصول إلى إدراك واعٍ للظاهرة التربوية والوقائع المرتبطة بها، وما نعنيه بالعملية هو أن هذا الإدراك يتحقق من خلال مراحل معينة تبدأ باكتشاف الوقائع التربوية ومحاولة وصفها، ذلك تمهيداً لتفسير هـــذه الوقائع الاجتماعية والوظائف التي تؤديها. وبذلك نجد أن مجرد اكتشاف الوقائع التربوية ووضعها مرحلة ضرورية لفهم الظاهرة التربوية.

إلا أن هذه المرحلة لا تحقق لنا الإدراك الكافي للظاهرة، فمجرد الوصف لا يمكننا من فهم أبعاد الظاهرة وظروفها والعوامل المرتبطة بها. من أجل ذلك تعتبر مرحلة التفسير للظاهرة التربوية والوقائع المرتبطة بها من حيث العوامل المتحكمة فيها والوظائف التي تؤديها مرحلة أساسية لتحقق الفهم، وبذلك يشارك علم الاجتماع التربوي، وبقية العلوم الأخرى، في محاولتها فهم الظواهر الواقعة في نطاق عمل كل منها، وذلك بسعيه لاكتشاف العوامل التي تتحكم في الظاهرة التربوية، في أدائها لوظائفها بالنسبة للثقافة والمجتمع والشخصية، وجميع النظم الاجتماعية في المجتمع التي تتبادل مع النظام التربوي التأثير والاعتماد الوظيفي.

٢- التنبؤ :

التنبؤ يتم قبل وقوع الحوادث بمعنى أن التنبؤ يهتم بما سوف يكون في المستقبل وذلك لأنه بمنزلة اختيار لمجموعة من العلاقات القائمة بين متغيرات أو ظواهر أو أحداث تقبل الملاحظة والمشاهدة، وبذلك تكون التنبؤات معلنة على شكل قانون أو نظرية علمية.

ومن ثم فإن علم الاجتماع التربوي يبني تنبؤاته العلمية حول الظاهرة التربوية والمناهج وطرق التدريس، ودور المدرس والإدارة وجماعة التلاميذ... على أساس من الفهم العلمي الذي يجعل تنبؤاته على درجة عالية من اليقين أي بحيث تكون التنبؤات النظرية المطروحة حول الظاهرة التربوية قابلة للتحقيق التجريبي. وبقدر ما يحقق عالم الاجتماع التربوي الفهم العلمي الذي يقيم عليه تنبؤاته، تكون تنبؤاته علمية.

٣- التحكم :

تزداد قدرة الإنسان في السيطرة على الظواهر والتحكم في الظروف التي تؤثر فيها. وبذلك يسعى علم الاجتماع التربوي لتحقيق فهم الظاهرة التربوية والوقائع المرتبطة بها على أساس المشاهدات الواقعية لجعل تنبؤاته حول الوقائع قابلة التحقيق، وبالتالي يمكن التحكم في الظواهر التربوية والسيطرة على الظروف والعوامل التي تؤثر

فيها. ومن ثم يكون التحكم بالظواهر التربوية والسيطرة عليها غرضاً علمياً أساسياً لعلم الاجتماع التربوي، وبذلك يحقق أهداف العلم الأساسية ومن ثم فإن مناقشتنا للأبعاد النظرية والعلمية المرتبطة بغرض علم الاجتماع التربوي، المتمثل في التحكم والسيطرة على الظواهر والنظم التربوية، وما يرتبط بها من وقائع اجتماعية وثقافية وشخصية..، تقتضي التعرف على مجموعة الظواهر التربوية التي تقع في مجال اهتمام علم الاجتماع التربوي من حيث طبيعتها والخصائص التي تتسم بها والتي تجعل منها موضوعاً متكاملاً لدراسة الاجتماع التربوي (السيد، ١٩٧١، ١٩).

ثانياً- خصائص الظاهرة التربوية ظاهرة اجتماعية :

١- تلقائية الظاهرة التربوية :

يذهب عالم الاجتماع (دوركهايم) إلى أن الظاهرة التربوية تعكس الطريقة التي نشأ عليها الكائن الاجتماعي في مختلف مراحله التاريخية، وأن لها وجوداً مستقلاً عن الأفراد. فهي ليست من صنع فرد بعينه، ومعنى ذلك أننا لا نستطيع أن نبدلها ونعدلها حسب أهوائنا الفردية وذلك لأنها نتيجة لتفاعل كل عناصر المجتمع الثقافية والاجتماعية المتعددة، في مختلف مراحل تطورها التاريخي.

٢- عمومية الظاهرة التربوية :

لازمت التربية المجتمعات البشرية في مختلف عصورها، وبجميع أشكالها، فليس هناك مجتمع لايعتمد على التربية في تشكيل أعضائه وإكسابهم طرق وأساليب حياته، ونقل مورثاته الثقافية.. سواء وجدت التربية بشكل رسمي أو بشكل غير رسمي، فهي بمنزلة ضرورة اجتماعية لاستمرار وجود المجتمعات البشرية، فليس هناك مجتمع من المجتمعات لا يستعين بالتربية بشكل أو بآخر في تكوين أعضائه، ونظراً لاستقلال التربية عن الحالات الفردية فهي ذات عمومية بالنسبة لمجتمع بعينه وبالنسبة للمجتمعات البشرية كلها.

٣- نسبية الظاهرة التربوية :

لاشك في أن لكل مجتمع طريقته الخاصة به، وهي التي يتبعها في إعداد وتشكيل أعضائه، وذلك لأن التربية هي نتاج تفاعل العناصر الثقافية والاجتماعية المميزة له فإن نتاج هذا التفاعل سوف يكون بالضرورة متمايزاً، والتربية نتاج لهذا التفاعل، فهي تتسم بصفته النسبية التي تسم الطابع الثقافي والاجتماعي للمجتمعات البشرية. (الجولاني، ١٩٩٣، ٦٥).

ثالثاً- أغراض علم الاجتماع التربوي :

بتحديد الأهداف الأساسية لعلم الاجتماع التربوي والمتمثلة في الأهداف المعلنة: الفهم - التنبؤ - التحكم، بالإضافة إلى هدفه غير المعلن والمتمثل في المعرفة التجريبية والذي يشير إليه بالوعي العلمي، الذي يجعل الفهم بدوره علمياً ويزيد من احتمال الصدق في تنبؤاتنا، وبالتالي يمكننا من تحقيق التحكم في الظاهرة التربوية والسيطرة على العوامل والظروف التي تؤثر فيها، وكذلك تحليل الخصائص والسمات المميزة للظواهر التربوية باعتبارها موضوعاً مميزاً للدراسة في علم الاجتماع التربوي.

تتبلور أبعاد الأغراض النظرية والأغراض التطبيقية لعلم الاجتماع التربوي في دراسة الظواهر التربوية وما يرتبط بها من وقائع ثقافية واجتماعية وشخصية.

١- الأغراض النظرية لعلم الاجتماع التربوي من دراسة الظاهرة التربوية:

(١) دراسة الظواهر التربوية من حيث طبيعتها وما تتسم به من خصائص وسمات تميزها، وتجعل منها موضوعاً متمايزاً لعلم الاجتماع التربوي.

(٢) التعرف على الوقائع الثقافية والاجتماعية والشخصية المرتبطة بالظاهرة التربوية في نشأتها وتطورها.

(٣) فهم طبيعة العلاقات التي تربط الظواهر التربوية بعضها ببعض، والتي تربطها بغيرها من الظواهر الاجتماعية في المجتمع.

(٤) الكشف عن أبعاد الوظائف الاجتماعية، التي تؤديها الظواهر والنظم التربوية بالنسبة للجوانب الاجتماعية والثقافية في المجتمع.

(٥) تحديد المضمون الإيديولوجي للتربية وآثاره على العمليات التربوية.

(٦) تحديد القوانين الاجتماعية العامة التي تحكم الظواهر التربوية وما يرتبط بها من وقائع اجتماعية وثقافية وشخصية. (الخشاب، ٢٥).

٢- الأغراض التطبيقية لعلم الاجتماع التربوي :

(١) يتمثل أول أغراض علم الاجتماع التربوي من دراسة الظاهرة التربوية والنظم التربوية، ما يرتبط بها من حقائق لتوفير الواقعية حول الظواهر والنظم التربوية.

(٢) دراسة المشكلات التربوية التي يتعرض لها النظام التربوي وعملياته والتي تؤثر على كفاءة هذا النظام في أدائه وظائفه بالنسبة للثقافة المجتمعية وأعضائه من أفراد وجماعات.

(٣) تسهم دراسات علم الاجتماع التربوية في شرح وتفسير الوسائل التي ينبغي اتخاذها لتربية الطفل وتنمية شخصيته.

(٤) تفيد بحوث ودراسات علم الاجتماع التربوي في ترشيد السياسة التعليمية وفي رسم خطط التعليم، وتخطيط المناهج وتطوير عمليات التعليم في المؤسسات التعليمية.

(٥) تكشف الدراسات الأمريقية لعلم الاجتماع التربوي عن رغبات واتجاهات المجتمع التربوي واتجاهات الجماعات الاجتماعية في المؤسسات التعليمية.

استناداً إلى الأغراض النظرية والتطبيقية لعلم الاجتماع التربوي والأهداف العلمية التي يسعى لتحقيقها. وانطلاقاً من طبيعة المجالات التي يمارس فيها عالم

الاجتماع دوره - باعتبار علم الاجتماع التربوي فرعاً من فروع هذا العلم - واتساقاً مع منطق التفكير العلمي والعناصر الأساسية التي يستند إليها، وطبيعة الظاهرة التربوية والحقائق المرتبطة بها والمتعلقة بالعملية التربوية وعملية التعلم، تتحدد معالم المجالات الأساسية التي يمارس منها عالم الاجتماع التربوي دوره.

رابعاً - مجالات دراسة عالم الاجتماع التربوي:

١- تحديد المضمون النظري والاجتماعي الذي يعمل ضمنه عالم الاجتماع التربوي، دراسة للظاهرة التربوية، وما يتعلق بها من حقائق يستند إليها في مجال الممارسة التربوية.

٢- تحديد موضوع علم الاجتماع التربوي، وطبيعة الظاهرة التربوية والخصائص العامة المميزة للوقائع التربوية على مستوى المجتمع خاصة.

٣- فهم العلاقة بين الأنساق التربوية والسياق الاجتماعي والثقافي والسياسي للمجتمع.

٤- التحليل الاجتماعي للأنساق التربوية، باعتبارها تنظيماً اجتماعياً تنهض على أهداف معينة.

٥- الدراسات المقارنة للنظم التربوية في ثقافات مختلفة، للتعرف على الملامح العامة المشتركة للظواهر التربوية والممارسات التربوية التي توجهها تطبيقات إيديولوجية متنوعة، مثل دراسة الفرق بين النظم التربوية الأوربية والنظم العربية..

٦- يضاف لذلك عمل عالم الاجتماع في المجال التطبيقي لعلم الاجتماع التربوي ذلك المجال الذي تتسع دائرته لتشمل دراسة المشكلات التربوية المتعلقة بسياسات التربية وتطبيقاتها وعملياتها وما يرتبط بها من صور التفاعل بين الجماعات المختلفة داخل المؤسسات التربوية.

٧- تخطيط المناهج الدراسية وتحديد مضمونها المعرفي في ضوء الأهداف التربوية للمجتمع (الجولاني، ١٩٩٣، ٦٨).

خامساً - علم الاجتماع التربوي في علم الاجتماع :

علم الاجتماع التربوي هو فرع من فروع علم الاجتماع يهتم بالجوانب التربوية للظاهرة الاجتماعية التي يتناولها علم الاجتماع وقد أسهم علم الاجتماع التربوي بدورٍ فعال في النظر إلى التربية باعتبارها عملية اجتماعية وثقافية.

كما أن علم الاجتماع يقدم لعلم الاجتماع التربوي الإطار النظري العام الذي يساعده على فهم أبعاد الظاهرة التربوية والأمور المتعلقة بها، مثل النشاط المدرسي والطريقة والتنظيم الاجتماعي والجماعات الاجتماعية بالمؤسسات التعليمية مثل جماعة الإدارة المدرسية وجماعة المدرسين وجماعة التلاميذ. إضافة إلى تناوله التفاعل القائم بين المدرسة كمؤسسة اجتماعية والمحيط الاجتماعي العام والمحلي، وما يشتمل عليه من جماعات اجتماعية تعتبر الأسرة في مقدمتها.

وإذا كان عالم الاجتماع يعمل لدعم الجهود المتخصصة في نطاق علم الاجتماع التربوي، فلأنه يستفيد من معطيات علم الاجتماع التربوي في تناوله التربية وأنساقها الاجتماعية وما تشتمل عليه من نظم وترتيبات تتعلق بالعملية التعليمية العامة، ولاسيما عملية التعليم، في الوصول إلى الفهم العميق الشامل لأبعاد العمليات التربوية في المجتمع، مما يساعد على تحديد الخصائص والظروف العامة المرتبطة بها والسمات والظروف الخاصة التي تؤثر في العمليات التربوية من محيط بمجتمعات وثقافات معينة تتفاوت في بعض جوانبها عن ظروف وثقافات المجتمعات الأخرى.

كما أن تناول علم الاجتماع التربوي للظاهرة التربوية يعتمد بصورة أساسية على فهم علم الاجتماع لمظاهر التفاعل الاجتماعية في المجتمع، والعوامل التي تؤثر فيها، والقيم والمعايير التي توجه سلوك الأفراد في المجتمع لتحديد مقتضيات صياغة الشخصية من خلال العملية التربوية، وما تتطلبه عملية الصياغة تلك من خبرات ومهام

ومهـــارات... ولـــذا نجد الكثير من مفاهيم علم الاجتماع ومصطلحاته تستخدم في المجـــال الـــتربوي وما فيه من تفاعل واتصال في عملية التعلم، ذلك لأن عملية التعلم موقف اجتماعي يتفاعل فيه الأفراد والجماعات شأنها في ذلك شأن المواقف الاجتماعية الأخرى وما تتضمنه من صور تفاعل وعلاقات واتصالات.

وكمحصـــلة لتطور المجتمعات الإنسانية وتقدم العلم والمعرفة في مختلف المجالات والمواضـــيع الإنسانية وكمحصلة لكل ذلك جاء علم الاجتماع التربوي علماً يصف ويفسر أثر الأنظمة وأثر العمليات والعلاقات الاجتماعية في شخصية الفرد.

وهـــذا العـــلم التطبيقي ظهر كفرع من فروع علم الاجتماع العام ليبحث في المؤســـســـات الـــتربوية المخـــتلفة والمدارس والمعاهد والكليات والجامعات داخل البناء الاجـــتماعي العـــام، ويهدف إلى الكشف عن العلاقات بين العمليات التربوية وإبراز أصل العملية التربوية كظاهرة اجتماعية لها وظيفة أساسية في المجتمع.

عـــلم الاجتماع التربوي كسائر العلوم الاجتماعية يدرس الإنسان عندما يدخل مع إنسان آخر في علاقاته وتعامله الإنساني في الإطار التربوي، بمعنى أن علم الاجتماع التربوي هو العلم الذي يختصّ بدراسة الإنسان حينما يدخل في علاقة مع إنسان آخر في إطار تربوي يهدف إلى تكوين الخبرة أو المعرفة أو الثقافة أو التعليم أو التدريب.

أي العلاقـــات بين تلميذ وآخر أو تلميذ ومعلم ثم العلاقة بين التلاميذ والمعلمين مجـــتمعين وبين كل من المؤسسة التربوية والنظام التربوي بشكل عام وبين كل من في هذا الإطار التربوي والمؤسسات الاجتماعية الأخرى في المجتمع الكبير.

تركـــز التربية باعتبارها عملية اجتماعية على العمليات الثقافية التي تشكل حياة الفـــرد، كمـــا يركـــز علم الاجتماع التربوي على التفاعل بين الفرد ومحيطه الثقافي بمكوناته المختلفة من أفراد وجماعات وأنماط سلوكية وأنظمة اجتماعية.

من هنا تعتبر التربية العملية الواعية التي تؤدي إلى إحداث تغيير في سلوك الفرد الـــذي يحـــدث بدوره تغييرات في الجماعة التي ينتمي إليها وهي عملية مستمرة، ولذا يستمر تغير الفرد في مجتمعه طوال حياته، وبواسطتها تتم عملية التنمية وتصل الجماعة إلى أهدافها المنشودة لأن التربية في محتواها دوماً خيّرة.

وهـــذا المفهـــوم الاجـــتماعي للتربية فهي لا تنحصر فقط في المدرسة والمنزل والأسرة – مع أنهما المؤسستان الاجتماعيتان الرسميتان والمسؤولتان بصورة مباشرة عن التأثير في سلوك الأطفال والناشئين والشباب والشيوخ رجالاً ونساءً وأولاداً وبنات – بـــل إن التربـــية تمتد إلى المؤسسات الاجتماعية والتربوية الأخرى مثل أماكن العبادة والعمـــل والمؤســـســـات الترويحـــية بالإضـــافة إلى المؤسسات الاقتصادية والمنظمات والمؤسسات السياسية من أحزاب ونقابات وتجمعات.

إن كل هذه المؤسسات وما تمليه الحياة من سرعة تغير المجتمعات الحديثة وتعدد مصـــادر الـــتغير ومـــا يولد عنه من مشكلات: يفرض على التربية مسؤولية التوجيه والضـــبط لســـلوك الأفراد والجماعات. لقد تغيرت وظائف التربية وأجهزتها في عصر التكنولوجـــيا الحديثة عنها في العصور القديمة والتي كانت تتسم بالبساطة ونقل التراث وأنماط الحياة المألوفة.

فالتربـــية الـــيوم لها دور مهم في العملية الاجتماعية في توجيه الأفراد كما تريد الجماعـــة أو المؤســـســـات السياسية الرسمية، وعن طريقها يمكنُ ضبط السلوك وتوجيه الفئات الاجتماعية بحيث تغرس فيهم الاتجاهات والتوجهات المرغوبة من قبل المجتمع، فتتأصل في نفوسهم القيم وأنماط السلوك العامة.

فالتربية إذن عملية اجتماعية تعمل على تكيف سلوك الأفراد ومواقفهم لتساير القوالب والأنماط الثقافية والضوابط الاجتماعية التي ارتضتها الجماعة.

مكتبة توليب للخدمات الجامعية

يـــرى جـــون ديوي في كتابه (Education Today) « إن التربية هي عملية اشـــتراك الفـــرد مع بقية أعضاء المجتمع، اشتراكاً عن وعي وقصد، اشتراكاً في حياة المجتمع إيجابياً، على أساس أن الفرد سيتخرج ليشترك مع المجتمع في حياته وإنتاجه ». (Durian ,1986).

سادساً – التربية والهوية الاجتماعية :

نحـــن نعلم بأن هناك علاقة وطيدة بين التربية والتنشئة الاجتماعية ولاسيما أن هـــذا الارتـــباط قـــائم على العمليات الاجتماعية التي تمارس من خلال الأسرة على الأطفـــال والمجتمع المحلي، ولذلك فإن التنشئة الاجتماعية تعد من المحاولات الأولى في بـــناء الشخصية الاجتماعية، والتربية لذلك تتحدد من خلال نظرية الدور الاجتماعي الذي يرتكز على التنميط الجنسي للذكور والإناث، ومن ثم تشكل المفاهيم الاجتماعية الثقافـــية التربوية التي من شأنها جعل الطفل يتقبل هويته الاجتماعية استناداً إلى أسس تـــربوية محددة، وذلك في عملية التشكيل الاجتماعي والتفاعل الاجتماعي ضمن حياة الفـــرد والشـــريحة الاجتماعـــية التي ينتمي إليها، وهذا بدوره يبني نواة تشكيل الهوية الاجتماعية الشخصية. من خلال ما سبق يمكن تحديد ثلاث نقاط لها أهمية في تشكيل السلوك الاجتماعي الذي يبني الهوية الإجتماعية :

١- مجموعـــة القـــيم والأعراف والعادات التي يتعلمها الطفل، لها علاقة وطيدة في تشكيل هويته الاجتماعية.

٢- للتربـــية المدرسية المتمثلة في المناهج وأساليب تدريسها، أهمية في تشكيل هويته الاجتماعية.

٣- تحقيق حاجاته بشكل متكامل ضمن المجتمع الذي ينتمي إليه، لها دور حاسم في تشكيل وبناء هويته الاجتماعية بشكل أفضل (نبيل، ٢٠٠٢، ٩٢).

الفصل الثاني

علاقة علم الاجتماع التربوي بالعلوم الأخرى

أولاً- علم النفس

ثانياً- علم الاقتصاد

ثالثاً- علم السكان

رابعاً- علم اللغة

خامساً- الفسلفة

سادساً- علم اجتماع الأدب

سابعاً- علم الأحياء

يـــدرس علم الاجتماع التربوي الإنسان وأنظمته الاجتماعية النابعة من القضايا التربوية ويرتبط علم الاجتماع التربوي بكثير من العلوم التي لها علاقة مباشرة بالإنسان وتكوينه السلوكي الاجتماعي.

أولاً- علاقة علم الاجتماع التربوي بعلم النفس :

يعرف علم النفس بأنه الدراسة العلمية للسلوك الإنساني، وهو علم يصبّ اهتمامه عـــلى ظواهر السلوك الفردية عند الإنسان، والتي تتمثل في جملة من الظواهر النفسية والعقلـــية، كالعمليات الذهنية من تعلم وتذكر وذكاء... والعمليات النفسية الخاصة بجوانـــب الحياة العاطفية الانفعالية في مظاهرها الشعورية واللاشعورية. وإذا كان علم الـــنفس يدرس السلوك الإنساني فإنه يركز على الجوانب الفردية، ويدرس الإنسان من حيث هو فرد في المجتمع، وبالمقارنة فإن علم الاجتماع التربوي يدرس الإنسان بوصفه كائـــناً اجتماعـــياً وبوصفه شخصاً داخل الجماعة أي أن علم الاجتماع لا يقف عند حدود الفرد بل يتجاوز ذلك إلى تقصي حدود علاقته بالجماعة.(وطفة، ١٩٩٣، ٢٧).

ويعـــد دوركهـــايم أول مـــن أكد على أهمية الفصل بين الظاهرة الاجتماعية والظاهرة النفسية وعلى ضرورة النظر إلى الإنسان بوصفه كائناً اجتماعياً، وعلى الرغم مـــن محاولة دوركهايم إبراز الحدود القائمة بين الظاهرتين فإنه يؤكد على أهمية العلاقة القائمـــة بينهما، وعلى أهمية العمليات النفسية في استبطان ما هو اجتماعي، فالإنسان يســـتبطن ما هو اجتماعي عبر أوليات نفسية متعددة، وتعد مسألة التنشئة الاجتماعية، موضـــوعاً أساســـياً في عـــلم الاجـــتمـــاع التربوي، خير مثال للتمييز بين الفردي والاجـــتماعي وذلـــك حين تنطلق عملية التنشئة الاجتماعية من مبدأ إزاحة الجانب البـــيولوجي والانتقال بالإنسان من حالته الفردية إلى حالته الاجتماعية. وإذا كان علم الـــنفس يســـعى إلى دراسة الظاهرة الفردية على خلاف علم الاجتماع التربوي الذي يـــدرس الإنســـان عـــلى أنه كائن اجتماعي، فإن كلاً منهما يستفيد من نتائج الآخر

ويوظفهـــا في مســـار حركـــته وتطوره، ويضاف إلى ذلك وجود موضوعات أخرى مشـــتركة بين علم النفس وعلم الاجتماع التربوي، فدراسة العلاقة التربوية والتفاعل الذي يقوم بين المعلمين والطلاب في المؤسسات التربوية هي موضوعات مشتركة بين الفرعين، وتقتضي من الباحثين في هذا المجال معرفة عميقة وشاملة بمعطيات العلمين.

ولقد تطور علم النفس اليوم في مناح متعددة، وفي إطار فروع مختلفة تتداخل في موضـــوعاتها مع علم الاجتماع التربوي، كعلم النفس التربوي الذي يدرس عمليات التعـــلم والتنشئة الاجتماعية، وعلم نفس الطفولة والمراهقة الذي يسعى للكشف عن قوانين النمو المعرفي والاجتماعي عند الناشئة...(وطفة، ١٩٩٣، ٢٨)

١ – علاقته بعلم النفس التربوي :

يعـــرف علم النفس التربوي بأنه الدراسة العلمية للسلوك الإنساني الذي يصدر خلال العمليات التربوية، وهو بهذا المعنى يهتم بعمليات التعليم والتدريس والتعلم وقد أصبح علم النفس التربوي علماً مستقلاً، ولم يقتصر بحثه على العملية التعليمية فقط بل تعـــدى ذلـــك إلى تغـــيير سلوك التلاميذ، كما يعد علم النفس التربوي من المقررات اللازمة لتدريب المعلمين في كليات ومعاهد التربية وإعداد المدربين والموجهين في برامج التدريـــب والتأهيل بمختلف أنواعها ومستوياتها، وأصبحت المهمة الأساسية لهذا العلم تزويد المعلمين والمهتمين والمربين بالمبادئ النفسية الصحيحة التي تتناول التعلم والتعليم المدرسي الذي يهدف إلى تغيير السلوك الفردي كي يصبح أعمق فهماً وأوسع إدراكاً وأكثر مرونة في المواقف التربوية المختلفة : (إبراهيم، ١٩٩٢، ١٦)

٢ – علاقته بعلم النفس الاجتماعي :

يرتـــبط عـــلم النفس الاجتماعي بعلاقة وثيقة مع علم الاجتماع التربوي ويمثل حلقة تواصل عميقة بين الاجتماعي والنفسي.

فعـــلم النفس الاجتماعي من العلوم الإنسانية التي تهتم على نحو علمي تخصصي بدراســـة سلوك الفرد في المجتمع، ومن حيث كون الفرد مؤثراً ومتأثراً بما يحيط به من أفراد وجماعات، وما يقيمه من علاقات وما يكونه من مواقف واتجاهات.

وعـــلم الاجتماع التربوي يدرس الظاهرة التربوية في مناحيها وفي إطار تفاعلها مـــع الواقع الاجتماعي كلّه، ويمكن القول (إن علم الاجتماع التربوي هو العلم الذي يبحث في قانونية العلاقة التي تربط بين التربية والمجتمع).

ثانياً – علاقة علم الاجتماع التربوي بعلم الاقتصاد :

تركز جهود العلماء الاقتصاديين على دراسة الجوانب الاقتصادية لحياة الإنسان مـــن إنـــتاج واستهلاك وتوظيف واستثمار ونمو اقتصادي... ويحاول علماء الاقتصاد اكتشـــاف قانونـــية الحـــركة الاقتصـــادية الإنتاجية في المجتمع، ((وإذا كان الجانب الاقتصـــادي يشكل المحور الأساسي في الأبحاث الاقتصادية فإنه يشكل محوراً مهماً من محاور البحث والتقصي في مجال علم الاجتماع التربوي.

ويشـــكل موضوع اقتصاديات التعليم والتربية اليوم فرعاً مهماً من فروع علم الاجتماع التربوي. ولقد ظهرت في الآونة الأخيرة مجموعة كبيرة من الأبحاث التربوية الخاصـــة بدراسة الجوانب الاقتصادية للتربية وشكلت هذه الدراسات تياراً متميزاً في مجال علم الاجتماع التربوي.

ويمـــيل أصـــحاب هـــذا الاتجاه إلى دراسة المسألة التربوية على ضوء الحركة الاقتصـــادية الـــتي تـــتعلق بعملية الإنتاج والاستهلاك والتوظيف والاستثمار والهدر والإنتاجية على المستوى التربوي.

وقد قام رايمون بودون (من أبرز ممثلي الاتجاه الاقتصادي في فرنسا) بدراسة المسألة التربوية في ضوء الحراك الاجتماعي الذي يتحدد بمسار العملية الاقتصادية واتجاهاتها.

وقد شهدت الدراسات الاجتماعية التي تتناول مسألة مدخلات التعليم ومخرجاته ومسألة البطالة والاستثمار التربوي وديمقراطية التعليم ودور الواقع المادي للأسرة والمجتمع في ظهور اللامساواة الاجتماعية إزاء التعليم... نمواً واسعاً على مستوى الأبحاث الميدانية وعلى مستوى التنظير.

تبين الدراسات الجارية حول الجوانب الاقتصادية للمسألة التربوية مدى الصلة العميقة التي تربط اليوم بين علم الاجتماع التربوي وعلم الاقتصاد الذي يشكل بقوانينه ومعطياته إطاراً عاماً ينطلق منه علم الاجتماع التربوي في دراسة الجوانب الاقتصادية للمسألة التربوية)). (وطفة، ٢٠٠٢، ٢٨)

ثالثاً- علاقة علم الاجتماع التربوي بعلم السكان:

علم السكان هو العلم الذي يدرس حركة السكان من هجرة ومواليد ووفيات وخصوبة.

وقد ظهر تيار في مجال علم الاجتماع التربوي يدرس المؤسسات التربوية المدرسية وفقاً لمعطيات علم السكان ويستخدم مصطلحاته ومناهج البحث فيه.

ويقوم أصحاب التيار الديمغرافي في مجال علم الاجتماع التربوي بدراسة التركيب العمري للطلاب والتلاميذ، ويستخدمون مفاهيم سكانية: مثل الوفيات المدرسية للدلالة على التلاميذ الذين يخفقون في دراستهم، والهجرة المدرسية لتعيين حركة الطلاب التي تتم بين المؤسسات المدرسية والجامعية من فرع لآخر، والانفجار الديمغرافي المدرسي للدلالة على التوسع في أعداد الطلاب داخل المدارس، والهرم من فرع إلى آخر في إطار المؤسسة الواحدة وغير ذلك من المصطلحات السكانية المعروفة في علم السكان.

هذا وتساعد المعطيات السكانية على دراسة الحركة السكانية داخل المدارس والمؤسسات التربوية وهذا يعني أن علم الاجتماع التربوي يستفيد من معطيات علم السكان ومناهجه في دراسة البنية الاجتماعية للمدارس والمؤسسات التربوية.

رابعاً- علاقة علم الاجتماع التربوي بعلم اللغة :

يدرس عالم اللغة أصول اللغة وقواعدها وكيفية تداولها واستعمالها من قبل الأفراد وكيفية تطورها. بالإضافة إلى دراسة مناهجها وتغيراتها.

ويشترك علم الاجتماع التربوي في دراسة موضوع اللغة، ويتناولها من الناحية الاجتماعية (كدراسة التدرج الطبقي وأثره في اللغة وأثره في تكوين اللغة عند الأفراد).

ويهتم علماء الاجتماع التربوي بدراسة أثر الوسط الديمقراطي أو الاستبدادي في تكوين اللغة عند الأطفال، لذلك فموضوع الدراسة بين العلمين واحد.

وبالتالي فإن كلا العلمين يطرح تساؤلاً حول كيفية تطور اللغة عند الأفراد في بيئات اجتماعية مختلفة، وما البيانات والآثار التي تحدث في اللغة من خلال الاختلافات الطبقية.

خامساً- علاقة علم الاجتماع التربوي بالفلسفة :

يبين "جون ديوي" العلاقة القائمة بين التربية والفلسفة بقوله إن الفلسفة هي النظرية العامة للتربية. لقد شكلت المسألة التربوية على مر العصور وفي سائر التيارات الفلسفية القديمة والحديثة اتجاهاً فلسفياً في تاريخ الفكر الإنساني الفلسفي، ولقد أطلق على الجوانب الفلسفية التي تعالج المسائل التربوية بفلسفة التربية، وتبين الوقائع العلمية أن التواصل بين الفلسفة والتربية وجد صيغته الجديدة المتطورة في إطار العلاقة بين فلسفة التربية وعلم الاجتماع التربوي، فعلم الاجتماع التربوي يعالج إلى حد كبير الموضوعات نفسها التي تباشرها فلسفة التربية كالتنشئة الاجتماعية ودور المؤسسات التربوية والعلاقة داخل إطار المؤسسات التربوية... وعلى أثر التطور الذي شهدته الحياة الاجتماعية في العصور الأخيرة من الزمن. لم تعد فلسفة التربية بما تملكه من

وسائل تأملية محددة قادرة على اللحاق بالوتائر المتسارعة للبحوث الاجتماعية، فهب لمساعدتها علم آخر هو علم الاجتماع الذي كان لديه بعض الخبرات في الدراسات والأبحاث الملموسة، وغني عن البيان أن أصول علم الاجتماع العام تقع في إطار الفلسفة، وإذا كان علم الاجتماع وليد الفلسفة فإن علم الاجتماع التربوي يمكن له أن يعد بحق الوليد الشرعي لفلسفة التربية، وهو الأكثر صلة بمسائلها وقضاياها، وتتيح اليوم معطيات علم الاجتماع التربوي في مستوياتها الميدانية مجالاً واسعاً للتنظير الفلسفي، وقد ساعدت اليوم نتائج علم الاجتماع التربوي على ولادة اتجاهات فلسفية تربوية جديدة تتعلق بمسألة ديمقراطية التعليم وغايات التربية... وثمّة اتجاهات ونظريات فلسفية تربوية مختلفة تطرح نفسها على الساحة الفكرية المعاصرة، وهي اتجاهات ونظريات تقوم على أساس المعطيات التي أنتجها علم الاجتماع التربوي المعاصر، ويلاحظ المتفحص اليوم أن علم الاجتماع التربوي ينطوي على جانب فلسفي وأن هناك نوعاً من العناق والتفاعل بين فلسفة التربية وعلم الاجتماع التربوي (وطفة، ٢٠٠٢، ٣٠).

سادساً – علاقة علم الاجتماع التربوي بعلم اجتماع الأدب:

إن هدف الدراسة السوسيولوجية للأعمال الأدبية هو استخلاص الأفكار المتصلة ببناء المجتمع عن طريق علم اجتماع المعرفة الذي يهتم بالعلاقة بين أنساق الفكر والوقائع الاجتماعية أو بتحليل العلاقات الوظيفية المتبادلة بين العمليات الاجتماعية والبناءات الاجتماعية من جهة، والحياة الفكرية وطرائق المعرفة من جهة أخرى.. (البدوي، ٢٠٠٢، ٩٧)

فمثلاً أدب الأطفال (قصة، شعر، مسرح) الذي يهتم به علماء الاجتماع التربوي هو أيضاً من ضمن اهتمامات علم اجتماع الأدب، فلا جدل في نشأة علم اجتماع الأدب كميدان أساسي من ميادين المعرفة السوسيولوجية، ارتبطت بالفكرة

القائلة :إن الأدب يصور لنا الحياة الاجتماعية في الفترة التاريخية التي كتب فيها. ويعطينا صورة واضحة عن وقائع اجتماعية محددة. وقام عدد غير قليل من علماء الاجتماع بدراسة هذه القضية كاهتمام أساسي من اهتمامات علم اجتماع الأدب، حيث درست العلاقة بين العمل الفني بصفة عامة والبناء الاجتماعي الذي أنتج هذا العمل أي ربط الأدب بالبناء الاجتماعي للمجتمع وتوضيح العلاقة المتبادلة بينهما.

إن الأعمال الأدبية تسهم في تنوير الراي العام والتأثير في اتجاهات التربية. كما أن أدب الأطفال بما فيه من قصة وشعر ومسرح وما يبث من خلال الوسائل الإعلامية الأخرى ... يساعد في التنشئة الاجتماعية.

سابعاً– علاقة علم الاجتماع التربوي بعلم الأحياء (البيولوجيا) :

يستهدف العمل التربوي في أول مراحله تنشئة الأطفال تنشئة صحيحة سليمة تساعدهم على قطع مراحل النمو بطريقة سوية.

وهذا العمل يتطلب ضرورة معرفة القوانين البيولوجية التي تتعلق بمراحل نمو الفرد جسمياً وعقلياً ونفسياً. الأمر الذي يجعل من علم البيولوجيا الأساس الأول الضروري لكل عمل تربوي.

وتظهر أهمية المعرفة البيولوجية في العملية التربوية إذا أخذنا بعين الاعتبار سيطرة العوامل البيولوجية على تطور الكائن الإنساني في مرحلتي الطفولة والمراهقة بصفة خاصة، ولذلك على المربي أن يتزود بثقافة بيولوجية تساعده على تعرف الأسباب الفيزيولوجية الوظيفية التي تحدد مسيرة النمو الفسيولوجي من ناحية الأعمار والأنواع للكائن البشري.

وعلى المربي ألاّ يجهل نمط التغذية ونوع الحياة وأنواع التدريبات والتمرينات التي تكفل للفرد نمواً طبيعياً سليماً. (ناصر، استيتية، ١٩٨٤، ص٢٣).

ويقسول بعسض العلماء : إن هناك علاقة ترابطية بين الذكاء ونمو الحركة أثناء الطفولسة. فالسسن التي يبدأ عندها الطفل بالمشي والسن التي يبدأ عندها بتعلم النطق والكلام لها أهمية في النمو العقلي. كذلك فإن اكتساب اللغة يتعلق بعوامل اجتماعية، فأي تأخر في المشي، أو حدوث فاصل زمني ملحوظ بين الكلمات الأولى وتعلم الجمل الأولى، قد يؤدي إلى حدوث اضطراب فكري لدى الطفل.

وهسناك بعض علماء الطب يزعمون أن بعض الاضطرابات الفكرية: كالشرود مسثلاً والتعب الشديد واضطراب الذاكرة... تخضع لأمراض عضوية في الغدد الصماء والمجموعسة العصبية والأمزجة وغيرها، كذلك ضعف الجهاز الهضمي أو جهاز الدورة الدموية أو الجهاز التنفسي يعيق النمو العقلي بدرجة لاتقل عن إعاقته للنمو الجسمي.

مسن ذلك إذن يتبين مدى ضرورة اهتمام علماء الاجتماع التربوي بعلم الحياة أساساً ودعامة لكل مراحل نمو الفرد جسمياً وعقلياً ونفسياً (نصر وستيتية، ١٩٨٤، ٢٣).

مكتبة توليب للخدمات الجامعية

الفصل الثالث

الجذور التاريخية لعلم الاجتماع التربوي

أولاً – أفكار أفلاطون التربوية.

ثانياً – أفكار أرسطو التربوية.

ثالثاً – تربية العصور الوسطى.

رابعاً– الفكر التربوي عند الإمام الغزالي.

خامساً– جهود العلامة ابن خلدون التربوية.

سادساً– التطور اللاحق لعلم الاجتماع التربوي.